الأسبوع الثاني عشر :الخطابة

من مميزات العرب أنهم أهل لسن وفصاحة وأنهم أحرار بلغوا الغاية من حب الحرية وطلبها وحيث تتوافر هاتان الصفتان وتكون مع توافر الدعاية إلى الكلام يرقى شأن الخطابة وتعلو أقدار الخطباء ولقد علمت من شأن الخطابة في العصر الجاهلي ما علمت لما توافر فيه من دواعيها ووسائلها وقد كان من شأنها فيه أن القبيلة كانت تزهي بخطبائها كما تزهى بشعرائها لأنهم دعاماتها ومفاخرها في حاجاتها حين تفقد على أمثالها في شؤون الحرب والسلم تقاضي ونحو ذالك من شؤون دنياها

ولما ظهر الإسلام بالدعوة العظمى في العرب ساعد ظهوره على نمو الخطابة في هذا الطور من حياته وبلغت أعلى مكانة قدرت لها إذ اتخذها أداته في الدعوة ووسيلته إلى التأثير والإقناع و قد كان خطيب العرب قاطبة إذ ذاك رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وقد خطب قريشا بمكة كثيرا يدعوها إلى الإسلام ولما هاجر الى المدينة استمر يخطب الناس وقد اتسعت خطابته حينئذ بحكم انصرافه إلى مقاتلة المشركين من جهة والى تنظيم حياة الجماعة الإسلامية وإقامة الصلة بينها وبين أولي الأمر شأني الدين والدنيا من جهة أخرى فخطب محرضا على القتال دفاعا عن النفس وخطب ناصحا ومعلما ومرشدا وشرع الخطابة في كل جمعة وعيد وموسم حج بعرفة وجعلها شعار كل إمام وركنا من أركان العبادة في الأيام المذكورة لتكون الوسيلة إلى إفاضة السكينة على نفوس المؤمنين وتثبيت العلاقة بين المجتمع وأصحاب السلطان وأهل الرأي من قادة المسلمين وأئمة دينهم وبذلك فتح للخطابة آفاقا واسعة في المطالب الروحية والخلقية والاجتماعية والتشريعية والسياسية وغيرها ، فضربت منها في كل سبيل ،كلما جدت للأمة

مصلحة وكلما نشأت عن هذه المصلحة حاجة الراعي والرعية الى التحدث لبعضها لبعض على النحو من سنة التشاور التي سنها الدين لجماعة المسلمين فكان في ذلك ازدهارها بضروب الموضوعات الخطيرة التي نحتاجه الأمة في شؤون الحياة

وقد كان عليه الصلاة والسلام وهو أفصح عربي على الإطلاق المثل الأعلى لسطوة البيان وقوة الحجة فطال العرب في خطبه وجوامع كلمه بما لا عهد لهم بمثله من أفانين المعاني وروائع الأغراض والأساليب وقد يفتتن في خطبه افتنانا يملك به مجامع القلوب لينا وشدة ووعدا ووعيدا ، نصيحة وتثقيفا في كلام حلو خلاب وأداء بارع جذاب تنبهر بها الأسماع وتتقيد بها الأبصار حتى ليفتتن فيه السامعون وتنقاد أهواؤهم لإرادته طيعة راضية مؤمنة كالذي رأيته من موقف الأنصار منه حين خطبهم الخطبة الرائعة وقد كانوا عليه عاتبين واجدين فانقلبوا في مثل لمح الطرف باكين نادمين وبذلك طبع الخطابة بطابع جديد خطير الشأن فأسرع الخطباء إلى تأثره واقتباس شعاعه وتمثل أسلوبه وأداءه وساعدتهم مواهبهم على حسن التمثل والإتباع واحتاجوا إلى القول فلجادوا وبرعوا وكان من ذلك كله ما امتاز به حظ الخطابة العربية في هذا العصر من الجودة والرصانة وسمو الأغراض وقوة التأثير

ولقد ازدهرت الخطابة ازدهارا ملموسا وذلك بعدما اختطت لنفسها طريقة جديدة أزالت الخطابة القبلية المتعصبة وابتعدت عن استخدام السجع وظهرت الخطابة الدينية والسياسية والحربية وازدهرت الخطب المحفلية وخطب الوفود المهنئة أو المعزية بعد وفاة النبي محمد عليه الصلاة والسلام واختلف الناس بشؤون الخلافة فكثرت الخطابة السياسية لكثرة الأحزاب والفرق كما كثرت الوصايا

إن الخطابة في هذا العصر استمدت مميزاتها من اتصال معانيها بأغراض والاقتباس من القرآن الكريم والافتتاح بحمد الله وتضمينها الشعر والمثل والحكمة واتجهت الخطابة الإسلامية نحو الهدوء واللين فهي تحترم القوم المخاطبين وتعتمد على المشاركة الحرة لأنهم متساوون في الحقوق ومن هنا ندرك خطابة عمر وليونتها من عمر الخليفة ٠

أهم أسباب وعوامل ازدهار الخطابة

١- الخطابة هي الوسيلة الوحيدة للدعوة للدين الإسلامي وذلك بسبب تفشي الأمية وشيوعها بين العرب

٢- عندما جاء الإسلام أعلى من شأن العقل واتجه إلى الإقناع بالمنطق والحجة وهي عمدة الخطيب

٣- ارتبطت الخطابة بالدين ارتباطا وتبعا فهي وسيلة لنشر الإسلام وتحديد نظم الحياة في المجتمع الجديد

٤- اصبحت الخطابة تخلق جسور بين النبي محمد عليه الصلاة والسلام والرعية والخلفاء الراشدين كذلك

أهم أغراضها:

١- الدعوة إلى توحيد الله ونبذ الشرك وعبادة الأصنام وإبطال الواسطة بين الله وعباده

٢- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والترغيب قي ثواب الله والترهيب من عقابه والوعظ والإرشاد والنصيحة

٣- تقرير شرائع الإسلام وقواعد الأحكام ومعالجة ما يعرض من النوازل والمشكلات الزمنية التي تتصل بحياة الجماعة وتتطلب الشرح والإيضاح

٤- تحميس المؤمنين على الجهاد وتوصية الجيوش بما ينبغي أن يعاملوا به المشركين وما يحسن أن يتحلوا به من الصبر على القتال بإحدى الحسنين في سبيل الشهادة أو النصر على الأعداء ٠

٥- معالجة القضايا السياسية وما تستتبع من تدبير لخطة وتأييد لبيعة واثبات حق في سلطان ورد لشبهة على تصرف أو حكم أو إنذار الخ